

خلع الحل لا يغيّر النفوس ولا يقبل العقليات ولا ينشئ عقيدة حية تفعم النفوس بالإيمان وتضع الأمة على طريق الخلق والإنشاء.

سعادة

## دراسة صياحية

### قاموس المبدعين في بلاد الشام

♦ يكتبها الياس عشي

اتصل بي صديق وطلب مني أن أعيد نشر مقال ظهر لي في «البناء» قبل أربع سنوات، تحت عنوان «قاموس المبدعين في بلاد الشام»، وها أنا عند رغبتة، أعود وأنشره بدون زيادة أو نقصان:

هل يستيقظ الضمير العالمي ويوجه رسالة اعتذار إلى ياسمين الشام، ونواير حماه، وقلعة حلب التي ما زالت جدرانها تخترق أجمل ما إنشده المتنبّي «مالي الدنيا وشاغل الناس» من أشعار؟ وهل تعقد الخناصر بين كلمة حبّ من هنا، أو قصيدة غزل من هناك، أو من أيّ مكان آخر ما زال شعراؤه وكتابه أحياء، ويتوجهون إلى حصص، ويضعون وردة على قبر ديك الجن؟ وهل يمكن لهذا العالم الغارق في عقليّة الصراف، ورائحة النفط، والرسائل القصيرة، ومؤامرات يهود، والضجيج الإعلامي: أن يفهم أبا العلاء في «لؤلؤياته» و«رسالة غفرانه»، ويتذكّر بدوي الجبل آخر عمالقة الشعر الكلاسيكي في بلاد الشام؟

بلاد الشام ليست، أيها السادة الكبار، حدوداً مغلقة، ولا ورائح عطر محبوسة في قارورة؛ بلاد الشام نوارس حملت بمنافيرها، يوم كانت تلهو على شواطئ أوغاريت، حرفاً جديداً ذا صوت وأهدته إلى العالم، فكان هوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وشيشرون وزينون وفيثاغورث وكل من كتب حرفاً في الأدب والعلم والفلسفة. بلاد الشام هي عبد الرحمن الكواكبي ويوسف العظمة وسلطان باشا الأطرش وفارس الخوري وجول جمال وعمر أبو ريشة ونزار قباني ومحمد الماغوط وكمال خير بك ويوسف الخال وادونيس وسعدالله ونوس وحنّا مينه ومحمود درويش وإبراهيم وقدي طوقان وفرح أنطون وأحمد فارس الشدياق واليازجيون واليساكنة وجبران خليل جبران وأمين الريحاني والأخطل الصغير وصالح لبكي وأمين نخلة وخليط مطران وسعيد تقي الدين وسعيد عقل والرحابنة وفيروز وأنطون سعاده الذي ردد ما قاله يسوع الناصري: «خذوا كلوا هذا هو جسدي، واشربوا هذا هو دمي».

بلاد الشام عادة عمرها سبعة آلاف عام وما زالت الأجل بين كل بلدان الأرض، وما زال الشعراء يتغزلون بقامتها المنصبة كالرمح، ويعينها الجامعتين ألوان البحر والبحيرات، وشموخ قاسيون، وقداسة شجرة الزيتون، وبرحة بيار القمح، وأرجوانية شقائق النعمان. منها صبح البحري الذي «أراد أن يشعر فغنى»، وفي ميادينها نشأ أبو فراس وقاتل وأسر وكتب يومياته الحزينة في قصائد سُحبت بالروميّات، وبين يوم ويوم تضيف بلاد الشام أسما جديداً ينضمّ إلى قافلة المبدعين.

وربّ متسائل: إلى أين تريد أن تذهب والشام تحترق؟ «أريد أن أتعب، كما قال نزار قباني قبل ثلاثين عاماً ونيف، إلى أصغر ذرة تراب في العالم العربي وأقول لها: أنا أحبك. أريد أن لا يبقى على أرض الوطن العربي، شجرة تحت القمع، أو عصفور تحت القمع، أو كتاب تحت القمع. أريد أن يصبح الحب، كالتعليم، مجاناً، فلا يبقى في هذا الوطن رجل لا يعرف أن يقرأ، وامرأة لا تعرف أن تحب».

فهل أطلب المستحيل؟

## خاف على أولاده فحرمهم من ملياراته



يعتزم الملياردير ميخائيل فريدمان، وهو فنان أغني رجل في روسيا، حرمان أبنائه من الميراث، والتبرع بكامل ثروته التي تقدر بـ13.5 مليار دولار، إلى الجمعيات الخيرية.

وفي حوار مع مجلة «فوربس» الأميركية، أوضح أنّ «إعطاء مبلغ هامّ من الأموال لطفل أو لنشاب، هو بمثابة المغامرة، ويمكن أن يحطم حياته»، وأضاف أنّه لا يعتزم كذلك إشراك أبنائه في مشاريعه.

وفسر الملياردير الروسي قراره التبرع بكل ما يملك للأعمال الخيرية وعدم توريث ثروته لأبنائه، بشيئين، الأول هو أنه في أن يتمكن أبناؤه من النجاح في حياتهم المهنية وبحقوا ما يصبون إليه، معتمدين على أنفسهم، كما فعل هو. والأمر الثاني هو أنّ فريدمان لا يريد أن يصبح أبناؤه، وخاصة البنت الكبرى البالغة من العمر 22 عاماً، محل اهتمام الآخرين الذين يخفون أطماعاً نحوهم.

تجدر الإشارة إلى أنّه في حال وُزّع الملياردير الروسي ثروته على أبنائه الأربعة، فإنّ ترتيبهم سيكون العاشر في قائمة الأغنياء الروس لسنة 2016، وسيكون نصيب كل واحد منهم 3.3 مليار دولار.

وكان الملياردير ديميتري زيمين أول ملياردير في روسيا، قرّر التبرع بثروته للأعمال الخيرية العام 2002، وأسس لذلك صندوق «ديناستيا»، لدعم العلوم في روسيا.

## الهواء النقي بعشرين دولاراً في الصين



وجدت مجموعة من رواد الأعمال طريقة مبتكرة لكسب المال من خلال الهواء النظيف في أستراليا بعد وصول التلوث الهوائي في الصين إلى معدلات عالية، وذلك بتعبئته داخل عبوات خاصة وإرساله إلى الصين. وطوّر جون ديكينسون وتيو رويغروك تكنولوجيا لالتقاط الهواء النقي

في الأماكن السياحية الأسترالية ثم تعبئته داخل عبوات بـ130 نفساً عموماً، وتباع هذه العبوات في الصين بنحو 20 دولاراً لكل عبوة. ويحتوي الهواء على رائحة الشاي، أي الملح، في حين رائحة الجبال تتضمن بعض اليوكالبتوس.

## سوداني يفاجئ مشييعيه... أريد ماء



ذكرت صحيفة «المجهر السياسي»، أنّ رجلاً سودانياً فاجأ مشييعيه إلى إحدى المقابر في مدينة المناقل بولاية الجزيرة، أنّه عاد من الموت قبل لحظات من دفنه ليطلب ماء للشرب. ووضحت الصحيفة أنّ بعض المشييعين هربوا عندما قام المتوفي بتحريك أظرافه، فيما قام بعض آخر من المشييعين بفتح الكفن ليتبين أنّ المشييع ليس ميتاً، وإذا به يطلب الماء، مشيرة إلى أنّ المستشفي أكدت أنّ الرجل كان في غيبوبة تامة، وقد اعتقد الأطباء هناك أنّه متوفى.

## أقيل الوزير لأنه... سكران



أعلنت رئاسة تنزانيا أنّ «الرئيس جون ماجوفولي أقال وزير الشؤون الداخلية لأنه مثل أمام البرلمان وأجاب عن أسئلة النواب وهو تحت تأثير الكحول». ووعده ماجوفولي، الذي تولى السلطة في تشرين الثاني الماضي بمكافحة الفساد وانعدام الكفاءة في الحكومة، وأطاح بعدد من كبار المسؤولين بسبب الكسب غير المشروع وخفض الإنفاق الذي اعتبره إهداراً، مثل منع إرسال بطاقات عيد الميلاد الرسمية.

## مروة قرعوني

في مسرحية

### وقلوه

نص مسرحي وإخراج: د. هشام زين الدين  
تأليف النص: الرواف حليم الظليل  
فكرة وإنتاج مروة قرعوني

على مسرح Teatro Verduan - Dunes Center  
إبتداءً من 20 أيار 2016 (سعر التذكرة: 25,000 ل.س.)

For Booking 01800003 - 70692919

© ZOBAN STUDIO | إنتاج | شبكة الجنوب | كواليس | لحدى | iVison | HN

## آخر الكلام

### لقد سبقتك بها يا شيخ راشد... القرارات المدمرة

♦ توفيق بن رمضان\*

لقد سبقتك بها يا شيخ راشد... لقد ذكر الشيخ راشد الغنوشي في خطابه الأخير أنّ من أسباب البطالة هو تدمير منظومة التعليم التقني والمهني، صدقت يا شيخ، ولكنني سبقتك بها، وقد نشرت مقالاً بهذا الخصوص في جريدتكم، جريدة «الفجر» بتاريخ 19 تشرين الأول / أكتوبر 2012، وفي جريدة «الصباح» بتاريخ تشرين الأول / أكتوبر 2012، وفي مواقع الكترونية عدّة أخرى، ولكم نص المقال وفيه بعض التحذير:

لا شك في أنّ من أسباب أزمة التشغيل والبطالة، هو تدمير منظومة التعليم التقني والمهني، فمن وراء تدمير هذه المنظومة التي كانت موجودة في المعاهد الفنية زمن حكم بورقيبة، وللتذكير فقد بُنيت تلك المنظومة وأنفقت فيها المليارات بعد الاستقلال، نعم من وراء هذا القرار ومن تسبّب في هذه الكارثة؟ لا يمكن القول في هذه الجريمة والكارثة إلا أنّها مؤامرة صهيوي - غربية لضرب التعليم التقني، الركن الأساسي للتنمية والتقدم والأزدهار، وقد نفذت تحت إشراف زعيم وأستاذ اليساريين وزير التربية السيد محمد الشرفي، وهذا مباشرة بعد حرب الخليج الأولى وبعد تطويع العراق لبعض الأسلحة والصواريخ.

ولنعد إلى منظومة التعليم التقني والمهني، فهل يُعقل أنّه بعد اكتمال بناء تلك المنظومة في أواخر الثمانينيات والتي أنفقت فيها المليارات بعد الاستقلال، جاءنا السيد محمد الشرفي ودمّر ما اكتمل بناؤه طيلة ثلاثة عقود، وقد ارتكبت أخطاء عدّة أخرى، فقد اتخذ بعض وزراء بورقيبة وابن علي قرارات عدّة كارثيّة من غلق جامع الزيتونة وبناء شبكة مترو الساحل وغيرها من القرارات، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر بقرار إزالة شبكة الترفاني سنة 1975 ومباشرة وفي فترة وجيزة من اتخاذ هذا القرار الكارثة تبين أنّه كان قراراً خاطئاً، وبعد سنوات قليلة اتخذوا قرار إعادة بناء المترو، وكلف هذا القرار العبثي المرتجل وغير المدروس، أيّ قرار إزالة شبكة الترفاني وإعادة بناء شبكة المترو الخفيف مليارات على المجموعة الوطنيّة التي كان من الأحرى تخصيصها لمشاريع تنموية أخرى، ويجب اليوم التدقيق ومحاسبة من كانوا وراء هذه الكوارث وكلّ من اتخذوا قرارات مدمرة في أيّ مجال من المجالات الأخرى، وإنّ لم يكونوا على قيد الحياة.

وبعد تدمير منظومة التعليم التقني والمهني وإلى حدّ الآن منظومتَي التكوين المهني والمعاهد العليا للدراسات التكنولوجية لم تتمكنا من ملء الفراغ الذي أحدثته إزالة تلك المنظومة التي أنفقت فيها المليارات والجهود والسنوات والتي كانت ناجحة وفاعلة في تكوين الكوادر الفنيّة والتقنيّة للاقتصاد الوطني، فقد كانت تساهم في تكوين عشرات الآلاف من التقنيين المهرة في كلّ الاختصاصات وفي كلّ الميادين التقنيّة، الفلاحيّة والاقتصاديّة والعديد من القطاعات الأخرى المهمّة.

وكل ما نشهده اليوم من تقادم لازمة البطالة سببه إزالة منظومة التعليم التقني والمهني، الذي انجرّ عنه إخفاق في التوجّهات والبرامج والمشاريع، فقد كوّنت منظومة التعليم العالي كوادر لا حاجة للاقتصاد التونسي بها، بينما أغلب القطاعات التقنيّة والصناعيّة تشهد نقصاً فادحاً وواضحاً من المهارات والكفاءات، فالمشكلة مشكلة تكوين واختيارات وتخطيط واستشراف بالأساس.

إنّ من بين الأسباب الأساسيّة التي تسببت في انتشار البطالة ودفعت إلى ثورة الشباب هو تدمير منظومة التعليم التقني والمهني، حيث إنّّه لم يعد لدينا مهارات في الاختصاصات التقنيّة والفنيّة، كما أنّ جزءاً هاماً من حاملي الشهادات العليا عاجزون عن تلبية متطلبات سوق الشغل لعدم تطابق الاختصاصات والمهارات مع التسيج الصناعي والعروض المطلوبة، وأقول للمشرّفين والمسؤولين عن التربية والتكوين، يجب عليكم من اليوم الاستعداد للمستقبل القريب وللسنوات القليلة المقبلة، ويجب أن تأخذوا في الحسبان الكارثة التي ستواجهها الصناعة التونسية وكلّ المجالات الاقتصادية الأخرى، فعندما يحال إلى التقاعد التقنيون الذين تكوّنوا في منظومة التعليم التقني والمهني والذين يمثلون العمود الفقري في تسيير المؤسسات الاقتصادية الخاصة والعمومية، عندها لن تجدوا من يعوضهم وربما سجدنا أنفسنا مضطرين إلى استخدام المهارات المطلوبة من الخارج. إنّ الأمر خطير وعلينا التفكير فيه بجدية والاستعداد له من الآن قبل فوات الأوان وقبل أن «تقع الفأس في الرأس»، كما يقولون.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مدة العقدين السابقين منظومة التكوين المهني لم تتمكّن من استيعاب طلبات التكوين المتزايدة، بسبب إزالة منظومة التعليم التقني والمهني وبلوغ الحد الأعلى لطلبات التكوين، ولحلّ مشكل استيعاب طالبي التكوين تمّ اللجوء إلى طريقة التكوين بالتداول التي تسببت هي الأخرى في ضرب الجودة وتدمير منظومة التكوين المهني المعول عليها في تعويض المنظومة المدمرة بالمعاهد الفنيّة، وقد وجدنا أنفسنا خلال السنوات الأخيرة بمنظومة المعاهد التكنولوجية غير الفعّالة ومنظومة التكوين المهني العاجزة عن تلبية طلبات التكوين من حيث الكمّ والكيف، وبإلينا حافظنا على منظومة التعليم التقني والمهني التي كانت ناجحة ومتميّزة في تكوين اليد العاملة المختصة في الكثير من المجالات والاختصاصات، فلو بقيت تلك المنظومة قائمة وتمت المحافظة عليها إلى اليوم وتطويعها ودعمها لما وصلنا إلى ما نحن عليه في هذه السنوات من أوضاع مزريّة ومن بطالة وفوضى ودمار، ولكانت أزمات التشغيل والبطالة أقلّ حدّة، وللخروج من الأزمة على المشرّفين على مؤسسات التربية والتكوين إصلاح ما تمّ تدميره في أقرب الأجل بإعادة بناء منظومة التعليم التقني والمهني بالمعاهد ومزيد التنسيق المحكم بين الأطراف المتدخلّة إن كان في التعليم العالي أو التكوين المهني وطبعاً وزارة التربية.

\* نائب سابق وكاتب وناشط سياسي تونسي  
romdhane.taoufik@yahoo.fr

الإدارة والتحرير

بيروت - شارع الحمراء - استرل سنتر  
ماتف 01-748920. 1. 2  
فاكس 01-748923

المدير الإداري  
زياد الحاج

المدير المسؤول: رمزي عبد الخالق  
هيئة التحرير: نظام مارديني  
أحمد طي - إنعام خروبي  
المدير الفني: محمد رسّال

رئيس التحرير  
ناصر قنديل

البناء

تصدر عن «الشركة القومية للإعلام»  
صدرت في بيروت عام 1958